مـن أمثـــال القصـيم

دراســة في المضمون والصيـاغـة

د. وسمية بنت عبدالمحسن المنصور
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

يحفل تراثنا العربي بدرس المثل الشعبي في مستويات متعددة، فعلى مستوى اللغة الفصيحة درست الأمثال في نصوص تطبيقية، مثل كتاب "الأمثال من الكتاب والسنة" للترمذي، وكتاب "الجمان في تشبيهات القرآن" لابن ناقيا ء. كما درست الأمثال وفق موضوعها، مثل الأمثال على ألسنة الحيوانات كما في "حياة الحيوان الكبرى" للدميري. ودرست الأمثال درسا مقارنا كما في "الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى" لعبدالمجيد عابدين. ومن حيث الدرس اللغوي في لغة الأمثال نجد "الحذف في المثل العربي" لعبدالفتاح الحموز.

وتفتح الدراسات للمثل في مستوى اللهجات الشعبية مجالا جديداً في الدرس اللغوي كاشفة عن علاقة الفصحى بالعامية، ومؤصلة لتلك العاميات في كثير من مفرداتها وصيغها، مُجلّية علة التغير التي أخرجتها عن المستوى الفصيح. وتعددت مناهج الدرس اللغوي الصالحة لمعالجة المثل، فمنها ما اعتمد البيان التصنيفي **The categorical statment**، ومنها ما اعتمد البيان الوظيفي **The functional state-**

ment (انظر لشرح المنهجين: عبادة،١٩٨٤م: ١٨١). وهناك دراسات كثيرة اهتمت بسبر الحياة الاجتماعية أو تلمس الأحوال النفسية والوجدانية التي يفصح عنها المثل، وثمة دراسات اهتمت برصد الوقائع التاريخية في نصوص المثل، يقول حمد الجاسر: «الأمثال في كل أمة جزءٌ من تاريخها» (العبودي،١٩٧٩م، ج١: ٣). كما يمكن تتبع بعض الحوادث التاريخية عند دراسة الشخصيات التي وردت أسماؤها في سياق الأمثال، مثل: **ما غزا مع مهنا** (ج٣: ١٢٢٧)، ومثل: **رجفة دهام بن دواس** (ج٢: ٥٧٨). وتتيح دراسة المثل الكشف عن علاقة الإنسان بالبيئة، وخوف الإنسان، ومعركته مع المجهول، والجانب السلوكي تجاه المواقف المعقدة، وما يقتضيه من حلول للمشكلات، وتقصي القيم العقائدية في حياة الإنسان.

ومن المناهج الجيدة الجادة في درس المثل الدراسات المقارنة التي تتتبع نص المثل في بيئات مختلفة، وفي حقب تاريخية متعاقبة، ترصد رحلة المثل وتطوره؛ ذلك أن التجربة الإنسانية واحدة في ثوابتها، متجددة في متغيراتها عبر الأين والآن. فالدراسات المقارنة للمثل تكشف عن جوانب الاختلاف بين نصوص المثل ورواياته في البيئات المختلفة، كما تثبت عناصر الاتفاق التي تشير إلى وشائج الاتصال بين تلك البيئات، إلى جانب ما ذكرناه سابقاً من كون التجربة الإنسانية واحدة تجاه المواقف وإن اختلفت طريقة التعبير عنها. من هذه الدراسات ما حاوله البقلي من تلمس لوحدة الأمثال في كتابه "وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية"، ومنها ما انطلق من أمثال بيئة لغوية مقارنا أمثالها بأمثال البيئات الأخرى كما في "الأمثال الكويتية المقارنة". ومنها ما دُرِس في مستوى المقارنة مع اللغات السامية الأخرى، مثل: كتاب "الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى" لعبد المجيد عابدين.

وتأتي هذه الدراسة محاولة لتحليل الأمثال الشعبية في نجد، معتمدة على بعض النماذج من تراث ضخم اجْتُهِد في جمعه، ودُوِّن في موسوعتين، واحدة لمؤلفها

عبدالكريم الجهيمان، وهي "الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب"؛ وقد روعي في تدوينها موافقتها لهجة منطقة "الوشم" غالبا، والثانية لمحمد بن ناصر العبودي، وهي "الأمثال العامية في نجد"؛ وقد روعي في تدوينها موافقتها في الغالب لهجة منطقة "القصيم"، ويمثل مجهودهما علامة متميزة في درس الأمثال الشعبية. وقد قامت هذه الدراسة على الأمثال في كتاب محمد بن ناصر العبودي، الذي كفانا بمجهوده الرائع مهمة الجمع الميداني، وهذه سمة الجهود العلمية الجادة التي تكفي الباحثين بعدها مرحلة من الجهد، فنبدأ من حيث انتهى العبودي -جزاه الله خيرا-، إذ جمع ثلاثة آلاف مثل. على أني لم أكتفِ بما أورده العبودي فقد كنت أعرض نص المثل مشافهة على أهل القصيم، وأخص أهل المذنب، ومن ثم استندت إلى مصدرين: المدون والرواية، في إثبات أن هذه الأمثال جاءت مستعملة عند أهل القصيم، أما توافق ورودها في بيئة نجد بعامة فهو يؤكد صحة استعمالها في القصيم؛ إذ إن المثل رحّال، ينتقل على ألسنة الناس، حتى إننا نسمع المثل في مناطق بعيدة جغرافيا، ونلمس توحد بعض المعاني عند الأمم المختلفة جنسا ودينا ولغة، ومنطقة نجد منطقة واحدة منذ القدم لم ينقطع حبل التواصل الاجتماعي والاقتصادي بين واحاتها. أما هذا البحث فهو دراسة وصفية متواضعة في المضمون والصياغة.

تعريف المثل :

اختلف الباحثون في تعريف المثل، إذ يتقاطع في تعريفه الاهتمام بالأثر اللغوي للتركيب «من حيث كونه محوراً أساسياً من محاور التعبير الأولي الذي يمارسه الإنسان في حياته اليومية» (كمال،١٩٩٣م : ١). وهناك من ينظر إلى أثر المثل في المستقبل، إذ «درس المثل يزيد رؤيتنا وضوحاً حين نحاول بناء حاضرنا، وحين نتخير الطريق نحو مستقبلنا، وحين نريد معالجة ما في مجتمعنا من سلبيات وأمراض، وحين نريد أن ندفع بقوانا الكامنة للانطلاق» (البقلي، ١٩٦٨م: ١). والأمثال عند رمضان عبدالتواب سجل اجتماعي، يقول: «الأمثال مرآة تنعكس عليها عادات الشعوب وسلوكها

وأخلاقها وتقاليدها، وهي معين لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم». (السدوسي، كتاب الأمثال: ٥).

ونظرة أخرى إلى المكتسب النفعي في واقع الحياة اليومية للإنسان، فالأمثال عند صفوت كمال «تعبير عن رؤية فكرية وموقف معين من الحياة» (الرومي وكمال، ١٩٧٨م ج١: ٨). ووظيفة الأمثال لا تتوقف عند رسم معالم الحياة الاجتماعية ورصد أنماط السلوك الإنساني وتقييمه، بل تقدم أيضاً النموذج الواجب اتباعه أو صوراً من الحياة، بهدف تحديد أبعاد النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة من تقييم أو نقد (السابق: ٨). ويرى الترمذي أن المثل تفسير للمواقف الغامضة في الحياة؛ لذا احتاجها الناس لقلة قدراتهم في الإدراك، يقول: «أما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال» (الترمذي: ١)، قال تعالى: ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ [سورة النحل: ٧٤].

والنظر إلى الجانب اللغوي بشقيه الإبداعي والنظمي من جهة وكونه نشاطاً لغويا من جهة أخرى نرى المثل مشتقاً من التمثيل، "سمى قدامى الساميين المثل باسمه تبعاً لسماته الجوهرية أصلاً وهي سمات المقارنة التصويرية" (زلهايم، ١٩٧١م: ٢٢). وقديماً اهتم أبو عبيد القاسم بن سلام بالجانب التصويري في المثل مع إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، يقول: «هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه» (البكري، ١٩٥٨م : أ). أما قيمة المثل في كونه نشاطاً لغوياً فقد عبر عنه العبودي، إذ قال: «والأمثال الشعبية بعد ذلك جزء من الأدب الشعبي تتردد في أفواه العامة، في مجالسها الخاصة وندواتها العامة وتضمنها أشعارها العامية». (العبودي، ١٩٧٩م، ج١: ٧).

وقد تأصلت وظيفة المثل اللغوية قديماً عند ابن عبد ربه إذ يقول: «وهي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني» (ابن عبد ربه، ١٩٤٨م، ج٣ : ٦٣).

وهي عند الزمخشري «قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ، فأشبعت المعنى» (الزمخشري، ١٩٦٢م، ج١: ب). ويرى بعض الباحثين أن الأمثال الشعبية «هي المتنفس الوحيد لمشاكل الناس والمعبر الصادق عن همومهم» (قديح، ١٩٩٥م : ٧). ويعود ذلك إلى طبيعة المثل؛ إذ «لعل الجهل بقائله يعطي للمثل فرصة الإبانة بحرية» (أبو سنة، ١٩٦٨م: ٩).

والأمثال الشعبية عند صفوت كمال «محاولة لتجريد الواقع إلى مطلق، لإظهار المضمون من خلال مقولة محددة» (الرومي وكمال، ١٩٧٨م، ج١: ٨).

وتعددت أوصاف الأمثال الشعبية عند الباحثين، فهي «تجربة الشعب في عمومه لا في خصوصه، وهو الكلمة الحرة التي لم تنل منها القيود المضنية ولا الالتزامات المحددة الفروض التي يملكها من يعنيهم أن تجري الأمور كما يحبون» (البقلي، ١٩٦٨م: ١١). والأمثال مرآة تعكس خبرة الأمة وتاريخها و«تنوع حالات الإنسان إزاء المتغيرات التي يواجهها في حياته سواء كان منتجاً أم مستقبلاً للحدث، وسواء كان هو موضوع المثل وصاحبه أم شاهد المثل ومردده». (الرومي وكمال، ١٩٧٨م، ج١: ٧). وأجملها الترمذي بأنها «مرآة النفس» (الترمذي: ٢).

ونهاية المطاف نقول: إن المثل الشعبي هو تعبير لغوي يروي تجربة إنسانية حسيّة أو معنوية، تعكس خبرة اجتماعية أو نفسية أو تاريخية أو فكرية. وهو تربية أخلاقية تساق في نص لغوي قوامه تركيب يثير انتباه السامع، لا يخضع ذاك التركيب لقاعدة أو نسقٍ مُلْزِم، ولا يلتزم بالتصوير، وإنما هي مسكوكات قولية، تناهت إلينا مشحونة بخبرة وإبداعٍ متوارث، نتأملها بحرية دون قيد من جيلٍ إلى جيل.

فالموقف الواحد قد يعتوره أكثر من مثل، أحدها تصويري، والآخر تقريري. فمن ذلك ما دل على التفرق مع شحنة شعورية انفعالية مبهجة بسبب الخلاص من شخص مكروه قولهم بصيغة تصويرية: **حصاة زلت عن درب المسلمين** (ج١: ٤٠٠)، وأما السياق التقريري الذي يعبر عن التفرق قولهم: **الدنيا ما جمعت إلا وفرقت** (ج٢: ٥١٩).

كما يختلف التركيب ما بين الإيجاز في: **صفع بتعليم**(ج٢: ٧٢٧)، والجملة البسيطة: **النفوس مشاهي** (ج٤: ١٥٢٥)، وجملة أخرى مركبة تتداخل فيها الجمل المترابطة: **قال: لا تموت يا بَيِّي في هالسنة الطيبة، قال: يا وليدي والله إني كني أقاد على وجهي** (ج٣ : ٩٣٨). ومن سبك إنشائي في: **وش عوَّد البقر رقّي الطوايا** (ج٤: ١٥٥٩)، **والويل الويل لاكّال التمر بالليل** (ج٤: ١٥٧٣)، إلى آخر خبري: **اللي أمه في الدار قريصه حار** (ج١: ١٨٠).

أداء المثل :

يصاحب المثل موقف أدائي ينبثق من الحالة الانفعالية للمتكلم، إذ يساق المثل لفظاً وأداءً، والأداء مميزٌ بالتنغيم وطريقة النبر، وكثيراً ما يعزز بالفعل الحركي ما بين إشارة باليدين أو حركة الجسم أو الإيماء بالرأس وحركة العين واتجاه نظرتها وحدته، وحتى حركة الرِّجْل إذا كان المتحدث جالساً، فالأمثال التي تصاحبها حركة مثل:

ما هنا راس يسوى طاقية	(ج٣: ١٢٦٣)
لقّيت الله وجهي، ولقّيتك قفاي	(ج٣: ١١٣٦)
هزْ ولا تضرب	(ج٤: ١٥٥٤)
ورا الشمس بخمس	(ج٤: ١٥٥٤)
من كبر اللقمة غص	(ج٤: ١٤٤٨)

ومن الأمثال التي لا بد لها من تنغيم:

جزا المعروف سبعة كفوف (ج١: ٣٥٧)

العين وما شافت، والنفس وما طاقت (ج٢: ٨٨٦)

إن ما جابها الله ما جابها الحيل والقوة (ج١: ٢٣٤)

ومن الأمثال التي لا بد لها من تنغيم وحركة:

يا خـال أبوي حك ظهـري (ج٥ : ١٦٣٤)

أصخنا الما وطار الديك (ج١: ١٠٣)

حتيش وبتيش وتضام العيش (ج١: ٣٩٠)

قال: جاك عويد محتمي، قال: يجي وأنا له مرتكي (ج٣: ٩٣٣)

ويسـوق المتكلم المثل بفـعلٍ لا إرادي منه لا يهـدف منه إلى إخـبار، وإنما هو من أفعال التواصل الاجتماعي، وتوشية الحديث، وقد يجد فيه المتحدث تعزيزاً لفكرته، وتعضيداً لمقولته، وتحفيزاً للسامع للانصراف إليه، وقد يفرض الموقف وحالة المتحدث نسيان صيغة المثل المتوارثة، فيُعْمِل حينئذٍ مقدرته الذاتية في التصرف اللغوي، ولعل هذا التصـرف الذاتي أحد عوامل تعدد الروايات في المثل الشعبي؛ وذلك إذا ما قُدِّرَ لتلك الرواية المعُدَّلة القبول من الجماعة اللغوية ومنزلة المتحدث الاجتماعية التي تيسر لتلك اللُّغَيَّة الفردية الشيوع والانتشار، ولن يتأتى ذلك إلا بعد حقبة من الزمن يتحقق فيها لتلك الرواية الفعل في الوعي الجمعي.

المضمون :

تناولت كثير من الدراسات مضمون المثل وفق حقول دلالية، ويخضع هذا التقسيم لفهم الدارس وثقافته والجانب الذي يهتم به، ومن ثم يرى دلالة المثل متمثلة في ذلك الحقل دون الآخر، ولعل ذلك يعود إلى أن جَمْعَ بعض الأمثال قد جاء من خارج سياق استعمالاتها؛ أي: وفق منهج استنطاق الجماعة اللغوية؛ بسؤال المتحدث: ماذا تقول في

هذه المناسبة؟ أو بذكر جزء من مثل واستكماله من قبل المتحدث. وقد تجمع بعض الأمثال في سياقها الفعلي عند الحديث، وهذا يحتاج لمجهود مؤسسي وأمد زمني طويل.

ولا نغفل عن أن المثل له من القدرة الحيوية بحيث يتلون وظرف الموقف الفاعل فيه. فالحقل الدلالي ليس قيداً صارماً، مثل: **عود ما يلين ينكسر**، يقول العبودي: «يضرب في الحث على اللين في بعض المواقف، كما يضرب لمن يتشدد فيفوته ما يطلبه بسبب تشدده» (ج٢: ٨٧٤)، فهذان موقفان مختلفان ومثلٌ واحد. والطلب في أحد الموقفين يختلف عن الطلب في الموقف الآخر، فإذا كان المتحدث يطلب في موقف اللين، فهو في موقف آخر يُبَصِّر بنتيجة التشدد. ومن الأمثال التي تقال في أكثر من موقف: **امدحنْ وخذ عباتي** (ج١: ٢١١)، فقائله قد يكون واعياً بمالأة الآخر له؛ فيقطع عليه الطريق أنه قد كشفه، فيقول: **امدحن وخذ عباتي**. وفي موقف آخر يرى المتحدث أن لغة التخاطب والتواصل عامل مهمٌ في قبول الآخر، حتى لو كان في ذلك تضحية بشيء مادي، وهو بذلك يُذكِّر بالمثل المصري: **لاقيني ولا تغديني**. وقد أورد العبودي (ج١: ٢١١) قول الشاعر:

وإني لأغلي لحمهـا وهي حيّـةً ... ويَرْخص عندي لحمها حين تذبحُ

بذا فاندبيني وامدحيني فإننـي ... فتًى تعتريني هزّةٌ حين أمـدحُ

ومن ذلك المثل: **جلد ما هو بجلدك جره على مر الشجر** (ج١: ٣٥٩)، فهو في موقف يُوغِر فيه المتحدث صدر السامع، ويحرِّضه على أمر مكروه ما دام الضرر لن يلحق به، وفي موقف آخر هو عتاب يحمل شحنة من الألم والمعاناة الذاتية للمتحدث الذي لا يرى من السامع استجابة ومشاركة له.

ومن الأمثال ما يحتمل أكثر من دلالة لموقف واحد، من ذلك المثل: **لا تفرح بسرعة أمك على التنور** (ج٣: ١٠٨٨)، فالمتحدث يكبح مشاعر السامع، إلاّ أن عامل الفرح ليس واحداً، فقد يكون المستمع فرحاً لمهارة أمه والحقيقة شيءٌ آخر، أو أنه يكون فرحاً

لقرب تناول الطعام والحقيقة الغائبة عنه أن شح الطعام وقلة عدد الأرغفة هو الذي عجل بإنجاز مهمة الأم عند التنور، ولم يكن ذلك دافعه المهارة أو قرب تناول الطعام.

وقد يظهر في بعض الأمثال ما يناقض دلالة أمثال أخرى، مع أنها تتناول موضوعاً واحداً مثل الحديث عن الماء:

الما ما سمّن الضفادع (ج٣: ١٢٥٤).

الما ما يعرض على عاقل ويعافه (ج٣: ١٢٥٤).

فالمثل يحكي تجربة ذاتية، فلو شابها التناقض لا يعني ذلك تناقض المتحدث، وإنما اختلاف الموقف، فالمتحدث يعبِّر عن تجربة شعورية تعكس الموقف الذي مر به، «كما تقوم الأمثال برصد المتناقضات التي تشتمل عليها أنماط السلوك البشري أو التقابل في مسميات الأشياء، والتعبير عن ذلك كله بعبارات موجزة واضحة» (الرومي وكمال، ١٩٧٨م، ج١: ٨).

ففي المثلين السابقين قيمتان متناقضتان حول الموقف من الماء، ففي المثل **الما ما سمّن الضفادع** إشارة إلى أن الماء لا قيمة له ولا أثر، وإلا لأفادت منه الضفادع التي تعيش فيه. أما المثل **الما ما يعرض على عاقل ويعافه** فتتضح فيه قيمة الماء وأهميته؛ فالعاقل لا يرد الماء، وتخصيص الوصف "العاقل" يفصح عن قيمة الماء التي لا يدركها أحد مثل إدراك العاقل لها.

والموقف من مصاهرة الأقارب تحكمه نتائج التجربة، فإذا كان الزواج ناجحاً فالمثل: **عليك بالجادة ولو طالت، وبنت العم ولو بارت** (ج٢ : ٨٥٥). أما إذا فشلت التجربة فالمثل: **قريبك لا تقاربه؛ تلدغك عقاربه** (ج٣: ٩٧١).

وإذا كانت الدعوة إلى الصبر على القريب في المثل: **أهلك لا تهلك** (ج١: ٢٣٩): فالتحذير من عاقبة الانصياع للأقارب يكشف عنها المثل: **يجيك من ذيلك ما يفت حيلك** (ج٥: ١٦٨٨).

وإذا كان المثل: **ولد بطني يعرف رطني** (ج٤: ١٥٧٠)؛ قابله المثل: **بلا التمرة من سِرْوها** (ج١: ٢٧٤).

وقد يتدخل مضرب المثل في الاختيار، فإن كان يضرب في حق شخص مهم قيل: **إلى اطريت الحصان فولّم العنان** (ج١ : ١٣٣)، وإن كان الشخص خلاف ذلك قيل: **إلى اطريت الكلب فولّم العصا** (ج١ : ١٣٤).

ومما اختلفت عليه الأمثال "اللسان"، ولعل المثل العربي اشترط على المتناقضات، إذ يقول: **لسانك حصانك، إن صنته صانك؛ وإن هنته هانك**، أما المثل النجدي فيُعلي من أهمية اللسان وضرورة استخدامه رمزاً للقوة وسلاحاً يذود عن حق صاحبه: **اللي ما له لسان تاكله الخنفسان** (ج١: ١٩٠). ولكن هذا اللسان قد يكون آفة تفتك بصاحبه: من طال لسانه خف ميزانه (ج٤: ١٤٣١)، ومثله: **زل برجلك، ولا تزل بلسانك** (ج٢: ٦١٦). ولكن المثل كما يقدم دعوة صريحة لصاحب اللسان أن يمارس مقدرته: **ما بلسانك عظم** (ج٣: ١١٧٥) فإنه يعلن السخرية تارة بأصحاب اللسان: **أطيب ما بالرّخوم لسانها** (ج١: ١١٠)، كما ينذر بالوعيد: قال: **وش قطعك يا راس؟ قال: لساني** (ج٣: ٩٤٦).

ومما يكشف في ظاهره عن تناقض الأمثال، وهو في حقيقته تجارب مختلفة الحديث عن المال في المثل:

المال عديل الروح (ج١: ٤١٧).

قال: وا مالاه، قال: وا عمراه (ج٣: ٩٤٤).

فالمثل هنا يصور الهلع الإنساني حين فقد المال؛ فالمال يعادل الروح، وإذا ندب المال لفقده فهذا مدعاة لندب العمر، وهو يساق في ظرف اقتصادي عند خسارة المال؛ إذ لا يخفف فداحة ضياع المال إلا سلامة العمر؛ أي: الروح. هذا الموقف الانفعالي الحاد لفقد المال يقابله موقف آخر يتسم بالهدوء، وهو نتاج تجربة إنسانية أخرى تنحو إلى الواقعية: **الحلال وبْرة يحت وينبت** (ج١: ٤١٩). فالمال عرضه للفقد، إلا أنه مثل الوبر يتساقط لظروف، ويعاود النمو بعد ذلك.

واختلاف التجربة قد تغيِّر في اللفظ دون التركيب، من ذلك:

لا همّ إلا همّ الدين، ولا وجع إلا وجع العين (ج٣: ١١٠٨).

لا همّ إلا همّ العرس، ولا وجع إلا وجع الضرس (ج٣: ١١٠٨).

فالتجربة هي التي تشكل المحتوى المعجمي مع المحافظة على بناء التركيب، فالمثل الأول كانت المعاناة من الدين؛ لأنه يفضح صاحبه في النهار، ويقلقه في الليل، وجاءت المقابلة مع وجع العين لاستكمال النغمة الموسيقية. وأما في المثل الثاني فالتجربة تحكي موقفاً اجتماعياً يعاني منه كل منزل، وهو همُّ العرس، وكالمثل السابق اقتضت النغمة الموسيقية استكمال المثل بوجع الضرس.

وتنوع التجربة الفعلية للمحسوس يثري اللغة بأمثال تعبر عن تلك التجربة المحسوسة:

كل مجرب أخبر من طبيب (ج٣: ١٠٥٨).

أفسد من البيض في القيظ (ج١: ١١٩) .

فالبيض تفسده الحرارة، وقديما لم تكن وسائل التبريد معروفة في البيئة.

ومن التجارب المحسوسة ما يمثله قولهم:

إلى طلع الجراد فانثر الدوا، وإلى طلع الفقع قصر الدوا (ج١: ١٦٢).

فالجراد عشبي المأكل، ويستدل العبودي على أن ما كان مأكله عشباً أو نباتاً فالفائدة منه ترجى بأنه ورد في الحديث النبوي ما يشير إلى فائدة ألبان البقر؛ لأن البقر تأكل من كل شجر. فقد روى الحديث: «إن الله -تعالى- لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، فعليكم بألبان البقر؛ فإنها ترم من كل الشجر» (ج١: ١٦٣).

أما الفقع -وهو الكمأة- فهو فطر قد أثبتت التجربة عُسر هضمه لمكوناته الطبيعية، ولما يشوبه من حصى ورمل يتغلغل في لحمته؛ مما يصعب تنظيفه منه، ومن ثم يتسرب إلى معدة الإنسان فيضرّ به، ومنه:

من أكل الحوا تلوى، وأوجعه بطنه وعوى (ج٤ : ١٣٩٣).

ومن التجارب المحسوسة المتصلة بالبيئة البحرية التي تثبت رحلة الأمثال من منطقة لأخرى قولهم: **اللي ما يقيس قبل ما يغيص ما ينفعه القوس عقب الغرق** (ج١: ٢٠١). ولعل كثرة القلبان في المنطقة عزَّز استخدام المثل وتوظيفه في سياق التحذير والاستعداد للأمور قبل وقوعها.

وتتعزز أهمية الاستفادة من تجارب الآخرين في قولهم: **من له عين وراس سوى ما سواه الناس** (ج٤: ١٤٥٣).

وتحفل الأمثال بمضامين كثيرة صنفها العبودي في (٩٦) ستة وتسعين حقلا، وكما ذكرنا سابقاً فإن التصنيف الدلالي يخضع لمعايير كثيرة، منها الجانب الذي يراه المصنف، والثقافة التي يستند إليها، والموقف الذي سمع المثل فيه...إلخ، ولا يعني ذلك أن أيَّ تصنيف يأخذ الطابع القسري؛ فإن طبيعة الموضوعات الدلالية لها من الاتساع والمرونة ما يجعل بعض الدلالات تدخل على الأخرى، وتشرب مضامينها بين هذا الحقل وذلك. وآخر ما أقف عنده من دلالة مضمون المثل النجدي هو المثل الذي يحكي قصة. ومضمون القصة تجربة إنسانية تختزل في مثل يضرب في سياقه الدلالي، وأكثر تلك الأمثال التي تحكي قصة مرتبطة بعَلَم يُنص على ذكر اسمه في المثل، من ذلك: **طقَّة القنيصي**، وهو مثل لم يرد عند العبودي، وقد سمعته من أهل المنطقة (المذنب)، والقنيصي رجلٌ أعمى كلَّفه القوم بحراسة البئر، والبئر في نجد وفي الصحراء عموماً مصدر الحياة يذودون عنه، وتشتعل الحروب من أجل السيطرة والاستحواذ عليه، وقد جاء للبئر قوم حاولوا طرد الأعمى، فلما قاومهم اعتدوا عليه بالضرب، ولعله ضُرب على رأسه في موقع ورم قديم، فلما انبجس الدم خفَّ الورم الذي كان يضغط على عصب العين؛ فرأى الرجل النور بعد أن كان أعمى، ومن شدة فرحه أخذ يجري وراء من اعتدى عليه، إلا أنهم هربوا منه خوفاً من منظر الدم الذي كان ينزف من رأسه. ويضرب هذا المثل في سياق "**رب ضارة نافعة**".

ومن أمثالهم المنقولة عن الفصحى قولهم: **يمد أبو حنيفة رجله ولا يبالي** (ج٥: ١٧٨٠).

ومن ذلك المثل: **يا مقيط دوك رشاك** (ج٥: ١٦٦٢)، ويضرب المثل في سياق طلب التخلص من شيء، وغالباً ما يكون التخلص رد فعلٍ لتصرف مشين من الآخر.

وللمزيد نذكر من هذه الأمثال التي تحكي واقعية قصصية:

رجْفة دهام بن دواس (ج٢: ٥٧٨)

الجني وابن شمس (ج١: ٣٦٦)

لقطة ابن حقروص (ج٣: ١١٣٥)

طير ابن برمان تجيبه الحية على راس راعيه (ج٢: ٧٨٣)

عبد ابن غنام يوم مات قال: عتيق (ج٢: ٨٠٢)

جاك يا مهنا ما تمنى (ج١: ٣٤٠)

هذا بلا أبوك يا عقاب (ج٤: ١٥٨١)

الصياغة :

لطبيعة المثل التي تقتضي الإيجاز، وطلب التنغيم، وإثارة انتباه السامع وصرف نظره إلى المتحدث، ولما له من خصوصية في تكثيف المعنى وسرعة الانتشار بالحفظ والرواية، لهذا كله وغيره تميزت صياغة المثل بالتنوع وتعدد تراكيبه، وغزارة صيغ مفرداته واتشاحه بمفردات تنطق بخصوصية بيئته، منها:

"الجصة": **يا الله مالي جصيصته، رابطٍ بقيرته،**

ودافن اميمته (ج٥: ١٦٢٧).

"السواني": **عزّي لسوّاق السواني من السرى إلى**

صار هطال السماك عجاج (ج٤: ٨٢١).

"الشرهة، و"الطاية": **ما هيب الشرهة على اللي يزرع**

الطايةْ، الشرهة على اللي يدينّه (ج٤: ١٢٦٨).

"الفقع": **إلى طلع الجراد فانثر الدوا، والى طلع الفقع فصرّ الدوا** (ج١: ١٦٢).

"البيز" **هات البيز، رد البيز، وإلى البيز خرقة** (ج٤: ٩٥٨٠).

ومنها ما يتأصل في الاستعمال اللغوي الفصيح:

"البواخ" في المثل: **الطباخ يسده البواخ** (رواية أهل المذنب، وانظر العبودي: ج٢: ٧٦٨).

ومنها "جموع" في المثل: **يقوم على جموعه** (ج٥: ١٧٧٠).

ومنها "جم" في المثل: **بين سهيل والمرزم لجم يبي غزير الجم** (ج١: ٢٩١).

ومنها "ولّم" في المثل: **إلى اطريت الحصان قوّلم العنان** (ج١: ١٣٣).

ومنها "يغل" في المثل: **يغل باسكات** (ج٥: ١٧٨٤).

ولا تخلو الأمثال النجدية من المفردات الأعجمية إذا دعت الحاجة لها مثل: "استاد": **مهنة بلا استاد، آخرتها للفساد** (ج٤: ١٤٧٨).

ومنها "زبون" في قولهم: **لا تترك زبون برجا زبون** (ج٣: ١٠٨٤).

ومنها "السطرنج" في قولهم: **يلعب به لعب السطرنج** (ج٥: ١٧٧٨).

وثمة كلمات ضاربة في القدم تتصل باللغات السامية القديمة مثل "ديد" في المثل: **اقطع ديدك اللي غذاك** (ج١: ١٢٢).

وأما نظام الجملة فتفاوت بين البسيطة (الصغرى) والمركبة (الكبرى) والضيقة والموسعة، وإننا إذ نستعرض بعض أنواع الجملة في بناء الأمثال النجدية لنؤكد أن هذا العرض جاء لمختارات من الأمثال لا دراسة استقرائية، ومن ثم فإن الدراسة لن تستطيع عرض جميع أنماط التركيب في صياغة المثل.

الجملة البسيطة :

وهي التي تتركب من وحدتي الإسناد: المسند والمسند إليه، وهي بالمعنى اللغوي المعاصر "الفعل + الفاعل"، و"المبتدأ + الخبر" (حماسة، ١٩٨٢م : ٤١)، ويشترط أن تؤدي فكرة مستقلة (عبادة، ١٩٨٤م : ١٥٣).

وفي الأمثال تكون بساطة الجملة مدعاة لسرعة حفظها وروايتها ومن ثم انتشارها، فقولهم:

النفوس مشاهي (ج٤: ١٥٢٥).

القلوب شواهد (ج٣: ٩٨٧).

الأدب رحمة (ج١: ٧١).

هي جمل بسيطة تحقق فيها عنصرا الإسناد، هي في التصنيف النحوي جملة اسمية:

النفوس مشاهي

مبتدأ خبر

وأما النوع النحوي الآخر (الجملة الفعلية) فيمثله قولهم:

نام حظه (ج٤ : ١٤٩٦)

وحقت الحقايق (ج١: ٤١٢).

وسام قراده (ج٢: ٦٢٦).

وتَنَجَّع البروق (ج١: ٣٢٥).

وقد يبنى الفعل للمفعول إلا أنه في مستوى الاستعمال العامي نجد أنه قد ترد صيغة "انفعل" مغنية عن صيغة "فُعل" دون أن تحجب استعمالها، مثل:

انخرق دفه (ج١: ٢٢٤).

شق ما ينرقع (ج٢: ٦٨٩).

ومن محافظة المثل على صيغة "فُعِل" :

إلى أكل زادك فرحب (ج١: ١٣٥).

وقد يأتي الفعل جامداً مثل: **نعم بابوه** (ج٤: ١٥١٨).

الجملة الكبرى :

وهي الجملة الاسمية التي يكون خبرها جملة اسمية أو جملة فعلية(ابن هشام، ج٢: ٤٥)، وقد سماها محمود نحلة "الجملة الجملية" (نحلة، ١٩٨٨م: ١٣٧). ومن الأمثلة على هذا النمط من الجمل ورد في الأمثال النجدية:

نخلة عوجا بطاطها بغير حوضها (ج٤: ١٥٠٠).

تمرة ما تقدر عليها اللواحيس (ج١: ٣٢٣).

صلاح الآبا يدرك الابنا (ج٢: ٧٣٣).

اللي أمه في الدار قريصه حار (ج١: ١٨٠).

مغبوط الحشا يبات جايع (ج٤: ١٣٦٤).

المطبق يشفى عليه (ج٤: ١٣٥٦).

المعروف كسر المحالة (لم يرد عند العبودي).

الجملة المركبة:

تصاغ الجملة المركبة **complex sentence** من جملتين بسيطتين، وقد تصاغ من أكثر من جملتين، وقد أطلق محمود نحلة على الأولى مصطلح "التركيب المفرد"، وعلى الثانية "التركيب المتعدد" (نحلة، ١٩٨٨م: ١٤٥). ويلاحظ عبادة أن «الجملة المركبة مكونة من مركبين إسناديين أحدهما مرتبط بالآخر ومتوقف عليه، وأن أحدهما يكون فكرة مستقلة، والثاني يؤدي فكرة غير كاملة ولا مستقلة، ولا معنى له إلا بالمركب الآخر، والارتباط بين المركبين معتمد على أداة تكون علاقة بين المركبين» (عبادة، ١٩٨٤م: ١٥٥).

وللجملة المركبة في نصوص الأمثال أنماط:

الجملة الشرطية :

من قدم الحسنى تقاضى الجمايل	(ج٤: ١٤٤٤)
من عنى إلينا وجب حقه علينا	(ج٤: ١٤٣٨)
من أكل تمرهم يقوم بأمرهم	(ج٤: ١٣٩٤)
من تردد بأرض عرفها	(ج٤: ١٤٣٠)
من طاف ما عاف	(ج٤: ١٤٣٠)
ما لقى الحصاد يلقى الملقط	(ج٣: ١٢٤٠)
إلى سلم العود، فالحال تعود	(ج١: ١٤٨)
إلى بركت الناقة كثرت سكاكينها	(ج١ : ١٣٦)
إلى بغيت تضمها فانشد عن أمها	(ج١: ١٣٨)
إلى تكلمت بالليل فاخفت، والى تكلمت بالنهار فالتفت	(ج١: ١٤٠)
إلى طلع المرزم فِامْل المحزم	(ج١: ١٦٤)
إن ما قتلت عيبت	(ج١: ٢٣٤)
إنْ لقحت وإلا ما ضرها الجمل	(ج١: ٢٣٢)

ويرى النحاة أن في تركيب المثل السابق حذفًا:

أداة الشرط + وإلا + جواب الشرط.

إنْ لقحت + وإلا + ما ضرها الجمل.

والتقدير:

أداة الشرط + وإن لا + الفعل + جواب الشرط.

إن لقحت + وإن لا تلقح + ما ضرها الجمل

وقد رد الشمسان هذا القول وفنده متكئاً على المبنى والمعنى، يقول: «والحقيقة أننا نتردد في قبول القول بوجود حذف هنا، فلسنا نحس بوجود مثل هذا الحذف رغم أن النحاة استطاعوا تقدير المحذوف، ولكن هذا التقدير يغير قليلاً أو كثيراً من المعنى الذي يعبر عنه التركيب، ونحس أن ثمة أداة مركبة وهي الأداة (وإلا)، ولهذه الأداة معناها الخاص الذي تنهض به». (الشمسان،١٩٨١م: ٣٥٣). ويسوق أدلته باختلاف التركيبين الأول والمقدر (م. ن، ص.ن).

الجملة الجزائية الطلبية :

وقد صنفها الشمسان في أجوبة التراكيب الإنشائية (السابق: ٣٦٣)، وقد تحققت في الأمثال:

حـرك تبلش (ج١: ٣٩٧).

اشتر طيب تسمى رابح (ج١: ٩٨).

عش وتشوف (ج٢: ٨٢٨).

اصدق تنجم، اكذب تهجم (ج١: ١٠٥).

جملة القول :

وهي نمط يتركب من جملتين، كلاهما يتصدر بفعل القول (قال)، وتكون الثانية إجابة أو تعليقاً أو إضافة على القول الأول، ومثل هذا التركيب ينقلنا إلى مشهد محاورة مسرحية بين طرفين .من شواهده قولهم:

قال: اعقل او اتوكل؟ قال: اعقل وتوكل (ج٣: ٩٢٩).

قال: الحلال؟ قال: يذهب، قال: والحرام؟

قال: يذهب ويذهب صاحبه (ج٣: ٩٣٠).

قال: الصلاة خير من النوم. قال: من تقول له؟ (ج٣: ٩٣٢).

قال: جاك عوَيد محتمي، قال: يجي وأنا له مرتكي (ج٣: ٩٣٣).

قال: زارقني وازارقك، قال: فارقني وافارقك (ج٣: ٩٣٥).

قال: صفوا صفين، قال: حنا اثنين (ج٣: ٩٣٦).

قال: طم الما يقل ورده، قال: ادفن الما يقل ورده (ج٣: ٩٣٧).

قال: قَوّه، قال: غَدّه (ج٣: ٩٣٧).

قال: لا تبيع رخيص، قال: لا توَصّي حريص (ج٣: ٩٣٨).

قال: ما حلاك يوم، قال: على ناس من ناس (ج٣: ٩٣٩).

قال: وش قطعك يا راس؟ قال: لساني (ج٣: ٩٤٦).

قال: يا الله مجنون آخذ اللي معه؟ قال:

يا الله مجنون افتك منه (ج٣: ٩٥٥).

التركيب المفرد :

ويعرفه نحلة بـ« أنه التركيب بإحدى طريقتين: أولاهما أن توضع جملتان بينهما علاقة دلالية وثيقة متجاورتين مرتبطتين برابط لفظي أو غير مرتبطتين، والثانية أن تدمج إحدى الجملتين في الأخرى، أو تدخل عليها أو تتفرع عنها » (نحلة، ١٩٨٨م: ١٤٥).

وأهم ما يلاحظ في التركيب المفرد الرابط، وقد يكون لفظياً مذكوراً أو محذوفاً، ويذكر حماسة أن وسائل الترابط منها المعنوي ومنها اللفظي، يقول: «وقد أوجد النظام اللغوي عدداً من وسائل الترابط في الجملة، بعضها يعتمد على الفهم والإدراك الخفي للعلاقات، وبعضها الآخر يعتمد على الوسائل اللغوية المحسوسة» (حماسة، ١٩٨٢م: ١١٧).

ومن أنماط التركيب المفرد:

العطف :

يسهم العطف في تقوية الجملة دلالياً مثل:

نصـــبح، ونفلح (ج٤: ١٥١١)

نم، واهمـل (ج٤: ١٥٣٠)

يقود، ويخزّي (ج٥ : ١٧٦٨)

وفي الجمل السابقة البسيطة جاء العطف ليربط بين جملتين متماثلتين في نوعهما النحوي (جملة فعلية + عطف + جملة فعلية)، كما نلحظ أن هذه الجمل المتماثلة في النوع النحوي قد جاء فاعلها ضميراً مستتراً. أما إذا اختلف النوع النحوي للجمل المتعاطفة مثل: (فعلية +عاطف + اسمية) فقد يكون الفاعل ظاهرا ولو من جهة المعنى لا الإعراب الصناعي، مثل:

نعد الليالي، والليالي تعدنا (ج٤: ١٥١٨).

فالعاطف جاء بين جملتين مختلفتين في النوع النحوي، والجملة المعطوفة جملة كبرى؛ لذا كان الفاعل ظاهراً لا مضمرا فهو "الليالي" التي تعرب نحويا مبتدأ، ولكنها من حيث المعنى هي الفاعل.

وقد تعطف جملة كبرى على جملة صغرى:

هذي تروعك والاخرى في ضلوعك (ج٥: ١٥٨٥)

جملة اسمية كبرى + عاطف + جملة اسمية صغرى.

ومثال حذف العاطف قولهم:

صبه احقنه (ج٢: ٧٢٢)

وقد تكون المتعاطفتان جملتين استئنافيتين:

ما ولد إلا عقب حصبا، ولا عيون إلا عقب جدري (ج٣: ١٢١١)

أو جملتين منعيتين:

ما له مرة ولا ثمرة (ج٣: ١٢٤٩)

ما هي بمدّة لك ولا قَدْر لي (ج٣: ١٢٦٩)

العطف بالتكرار وحذف العاطف:

الويل الويل لاكّال التمر بالليل (ج٤: ١٥٧٣)

التوكيد اللفظي:

طاح ابوكم طاح (ج٢: ٧٦١)

التوكيد المعنوي:

ما بالفار الطاهر كله (رواية أهل المذنب)

ما بالفار طاهر (ج٣: ١١٧٢)

المزاوجة :

تأتي بعض الأمثال في جملة مركبة تحمل صفة التقابل والمزاوجة بين عناصرها في اللفظ أو المعنى.

شدوا يا قوم، انزلوا يا قوم (ج٢: ٦٧٤)

اكنسي بيتك يكبر، واغسلي رجلك تصغر (ج١: ١٣٢)

شدّي غطاك، ومدّي خطاك (ج٢: ٦٧٤)

بَرْد وحكّة وقلّة ظفور (ج١: ٢٥٦)

ما سرك حرك (ج٣: ١٢٠٦)

قال: وا مالاه، قال: وا عمراه (ج٣: ٩٤٤)

بصيص العين ولا عماها (ج١: ٢٦٦)

راحت السُّكْرة، وجت الفكْرة (ج٢: ٥٥٧)

ويلي منك، ويلي عليك (ج٤: ١٥٧٣)

التركيب المتعدد:

وقد عرَّف نحلة هذا النوع من الجمل بأنها «الجملة المركبة تركيباً متعدداً تتكون من أكثر من جملتين، وتتلقاها الأذن مسموعة، أو العين مقروءة بما هي وحدة واحدة» (نحلة، ١٩٨٨م: ١٨١). وفي الأمثال الشعبية أنماط كثيرة لصور التركيب المتعدد ، نذكر منها:

معه روح ومعنا روح، ولا يدري من يروح (ج٤ : ١٣٦٣)

عصفور طويّه، ياالله هاته، ياالله رده (ج٢: ٨٢٩)

حوار ربيع: إن طمَّن وإلى عشب، وإن رفع وإلى حليب (ج١: ٤٣٥)

ما هيب الشرهة على اللي يزرع الطاية، الشرهة على

اللي يدينه (ج٣: ١٢٦٨)

عِزّي لسوّاق السواني من السرى إلى صار

هطال السماك عجاج (ج٤: ٨٢١)

مهبول يا طبّاخ الفاس، تبغى المرق من حديده (ج٤: ١٤٧٦)

يا شاري الدون بدون تحسبك، غابن وأنت مغبون (ج٥: ١٦٤٤)

ماهوب الارطى خير من الغضا، لكن

الارطى بايّام الطلول علوق (ج٣: ١٢٦٦)

يا الله مالي جصيصته، رابط بقيرته، دافن اميمته (ج٥: ١٦٢٧)

أسلوب الاستفهام :

تتصف الأمثال الشعبية بثرائها بأنماط أسلوب الاستفهام وتراكيبه، فمنها ما يكون بأداة، ومنها ما تحذف أداته، ومنها ما يأتي بالسؤال والجواب، ومنها ما يقتصر على السؤال. بيان ذلك:

الاستفهام بالأداة دون ذكر الجواب:

وش الركعتين على الولد النشيط؟ (ج٤: ١٥٥٦)

أم سالم قبل تجيب سالم وش اسمها؟ (ج١: ٢١٣)

وش هالطويرات اللي بداركم؟ (ج٤: ١٥٦٠)

من بالعمر يمر؟ (ج٤: ١٣١٣)

الاستفهام بالأداة مع ذكر الجواب:

وش لون؟ تمر ولون (ج٥: ١٥٥٩)

الاستفهام دون أداة:

هو علم والا حلم؟ (ج٤: ١٦١٠)

استخدامات "يا" "وا":

"وا" الندبة وردت في: **قال: وا مالاه، قال: وا عمراه** (ج٣: ٩٤٤)

تخرج الأداة "يا" في استخدامات المثل الشعبي عن قيد النداء إلى دلالات يقتضيها السياق.

١) الزجر:

يا القويعة يا ام عْرَيف، أكلتي زرعي قبل الصيف (ج٥: ١٦١٧)

٢) التحذير:

يا شاري الدون بدون، تحسبك غابن وأنت مغبون (ج٥: ١٦٤٤)

٣) للاستهزاء:

يا باب، من ذا بابه؟ (ج٥: ١٦٢٨)

يا بقة، ما دري بك (ج٥: ١٦٣٠)

٤) للتحبيب والامتنان:

يا حبني لأمي وضربة عصاها، ويا بغضي للناس

وإن دللوني (ج٥: ١٦٣١)

٥) للنداء:

يا حسين صح، جاب أبوك جراد ما ذبح (ج٥: ١٦٣٢)

وسمعته في محافظة "المذنب": **يا حسين طلطله، جاب أبوك جراد ما ذبح.**

٦) الإعجاب:

يا حلو الدبيسة، لا قشير ولا عبيسة! (ج٥: ١٦٣٢)

يا حلو الطرير لو بحلقي! (ج٥: ١٦٣٣)

٧) دلالة مزدوجة متناقضة:

يا خال ابوي حك ظهري (ج٥: ١٦٣٤)

٨) الدعاء:

يا الله العقل لو عارية (ج٥: ١٦٢٨)

يا الله مطر ولا سيل، حتى ترضى أم سهيل (ج٥: ١٦٢٨)

يا الله قريص للمحجبة (ج٥: ١٦٢٧)

يا الله مالي جصيصته، رابط بقيرته، ودافن اميمته (ج٥: ١٦٢٧)

٩) للتحسر:

يا رخص المال على الفقرا (ج٥: ١٦٣٩)

١٠) للتعجب:

يا ما تكره النفس من خيرات (ج٥: ١٦٥٨)

يا سعدك يا سقاي الما لو كانت رجليك بالما (ج٥: ١٦٤٢)

يا ما بالحبس من مظلوم! (ج٥: ١٦٠٧)

١١) للإنكار:

يا شين لعب الفِطَر (ج٥: ١٦٤٥)

يا مغطي الراس والعِرية مخليها (ج٥: ١٦٦٢)

١٢) للحث والإغراء:

يا غريب، كن أديب (ج٥: ١٦٤٩)

١٣) للعب والعبث:

يا غراب الجول، احند لنا (ج٥: ١٦٥٠)

١٤) دلالة العجز والخور:

يا ليت الما عند راسي ما هو عند رجلي (ج٥: ١٦٥٦)

١٥) للتعزي:

يا مال الله، يخلف الله (ج٥: ١٦٦١)

١٦) للتريث:

يا مغطى، يا مكشوف (ج٥: ١٦٦٢)

١٧) للتحذير:

يا ويل الظُّفر من الظفور (ج٥: ١٦٦٦)

يا ويلك يا راعي الردية (ج٥: ١٦٦٧)

يا ويل اللي ما له والي (ج٥: ١٦٦٧)

١٨) تكون "يا" جزءاً من صيغة ثابتة:

يا هملالي، يا عجوز تلالي (ج٥: ١٦٦٩)

التشبيه :

التصوير سمة أساسية في المثل الشعبي وقد تخلو منه بعض الأمثال، وتعوض عن فقده اللغة الانفعالية التي يساق بها من محافظة على التنغيم وحيوية الموقف وحرارة الأداء. والأمثال التي قوامها التشبيه تضيف بُعْداً أعمق في إثراء الدلالة. وتختلف أساليب التشبيه:

التشبيه بالأداة "مثل" مع ذكر المشبه والمشبه به:

فلقةٍ في رأس غيري مثل صدعٍ في الجدار (ج٣: ١٩١٤).

والتشبيه بالأداة "مثل" مع حذف المشبه:

مثل نار الشتا (ج٤: ١٣٢٦)

مثل النار ما تشبع حطب (ج٤: ١٣٢٢)

والتشبيه بالكاف:

كنه على جمر (ج٣: ١٠٧١)

كنه منزل من السما (ج٣: ١٠٧١)

حذف المشبه وأداة التشبيه:

وقد صنف (عبادة، ١٩٨٤م: ٧٩) هذا النوع في المركب الاسمي الإضافي. والمركب الاسمي الإضافي يربط بين اسمين بتقدير رابط محذوف ففي قولهم:

قلادة مليحان (ج٣: ٩٨٦) التقدير: قلادة لمليحان.

شاة أمس ج٢: ٦٦٠) التقدير: شاة وقت أمس.

صياح مقبرةْ (ج٢: ٧٣٦) التقدير: صياح في مقبرة.

قمر غيم (ج٣: ٩٩٢) التقدير: قمر خلال غيم.

شَبَّابْ نار (ج٣: ٦٦٥) التقدير: شَبَّاب للنار.

بيضة عقر (ج١: ٢٨٤) التقدير: بيضة آخر عقر.

ومن أساليب حذف المشبه وأداة التشبيه ما يكون بين متعاطفين مثل:

تمر وانسماح امر (ج١: ٣٢٢)

أو دون عطف، وإنما يكتفى بالصورة مثل:

تمرة ما تقدر عليها اللواحيس (ج١: ٣٢٣)

ومن التشبيه البليغ:

الغرب غرب حميّر، والبطن بطن بعير (ج٣: ٨٩٨)

الطول طول نخلةٌ، والعقل عقل صخلةٌ (ج٢: ٧٨١)

يلاحظ هنا أن التشبيه المركب جاء من ارتباط تشبيهين بليغين متعاطفين، والتشبيه البليغ ما حذفت أداة التشبيه منه.

الفكاهة:

تشيع في بعض الأمثال روح الدعابة والفكاهة وهي صورة من صور النقد المعمى؛ أي النقد غير الصريح، إذ إن المتحدث يخضع لقيود ذاتية وضوابط تكبح حدة انفعاله بالموقف، فتكتسي ردود فعله التعبيرية بثوب الفكاهة التي يصب فيها شحنة الغضب والمرارة أو موقفه الشخصي. وهو ما يعرف عند علماء النفس بالتصعيد أو التفريغ، وغالباً ما تُسجل الأمثال المشوبة بروح من الفكاهة موقفًا تاريخياً، تناقل الناس قصته، وغابت شخوصه مع الأيام، واحتفظ الوعي الجمعي بالعبرة والحكمة.

قال: هي بنت أو راجع؟ قال: بين يديك يا خطيب (ج٣: ٩٥٢)

وفي قول الشاة للعنز:

يا الله ربيع بصرةٌ، حتى أرعى وانت مقصعرةٌ (ج٥: ١٦٢٠)

فترد العنز:

يا الله ربيع بغار، حتى ارعى وانت كِنّكْ حمار (ج٥: ١٦٢٠)

ومنها:

عساكْ بالشتا نفسا، وبالقيظْ عروس (ج٢: ٨٢٣)

يا الله مالي جصيصته، رابط بقيرته، ودافن اميمته (ج٥: ١٦٢٧)

يا باب، من ذا بابه؟ (ج٥: ١٦٢٨)

يا بقة، ما دري بك (ج٥: ١٦٣٠)

ما بالقوع رايح : الخنافس والسحايح (ج٣: ١١٧٢)

وسمعته بصيغ أخرى في المذنب: **ما بالقوع رايح: قبابينها والسحايح. ما بقوعها رايح: الخنافس والسحايح.**

ألفاظ التواصل الاجتماعي:

تتميز لغة التخاطب بحيوية تتطلبها طبيعة التواصل الاجتماعي، تلك الطبيعة التي تعزز العلاقة، وتُغذي ديمومتها بصيغ وتراكيب لها خصوصية جمالية في المبنى والمعنى؛ وذلك أنها تحفز السامع على حسن الاستماع وتقبل المتحدث والإعجاب به، ومن ثم تيسر للمتحدث التأثير على السامع. والمثل الشعبي نمط من أنماط التواصل الاجتماعي. ومن تراكيب التواصل الاجتماعي ذات الأهمية الحيوية في الإثارة اللغوية تراكيب التحية والردود التي يتسم مستخدمها بسرعة البديهة، وبالدربة على مخاطبة الآخرين؛ مما يعد جزءا من التربية الاجتماعية؛ ولذا أطلق على تلك العبارات "الرد والبدل" ، ومنها ما يكون مسجوعا، ويدخل في ذلك جملة من الأدعية التي غرضها التواصل الاجتماعي بإظهار التودد والتلطف للمخاطب. وقد عد العبودي وغيره من اللغويين كثيراً من تلك العبارات والتراكيب من الأمثال. وأرى أنها من ألفاظ التواصل الاجتماعي؛ لا من الأمثال، وإنما ضُمّت إلى الأمثال لكثرة تداول الناس لها ولغياب

مستخدمها الأول، وهي بهذا تشترك مع الأمثال وإن فارقتها وظيفة. ومنها ما يلي:

الله يخليك لعينٍ ترجيك	(ج٣: ١١٢٠)
حواليـنا ولا علينا	(ج١: ٤٣٦)
القلوب شواهد	(ج٣: ٩٨٧)
حطّه على يمناك	(ج١: ٤٠٩)
اغسل يدك	(ج١: ١١٦)
مصدّق بلا حلف	(ج٤: ١٣٥٣)
إكـرام النفس هواها	(ج١: ١٢٨)
العـوض ولا القطيعـة	(ج٢: ٨٧٦)
الضـيق بالقلوب	(ج٢: ٧٥٦)
اللي بقلبه على لسانه	(ج٣: ٩٨٧)
سم، عـدوك يسم	(ج٢: ٦٤٤)
الله يحييكم من نشيتوا لي مشيتوا	(لم يذكره العبودي)
استر ما واجهت	(ج١: ٩٣)

الجملة الموجزة :

المثل تجربة مكثفة ينقلها صاحب الخبرة إلى المتلقي بأبسط الألفاظ، يدفعه إلى ذلك الهدف التعليمي، ومن ثم كثر في المثل صور الجملة الموجزة، وهي ظاهرة مَيَّزت العربية عن أخواتها الساميات، «فإذا تأملنا الأمثال العربية بصفة عامة، وجدنا ظاهرة لا نظير لها في الأمثال السامية الأخرى. هذا الإيجاز البالغ الذي يصل أحيانا إلى أن يكون المثل لفظا واحدا، أو صفة وموصوفا، أو مضافا ومضافا إليه، أو جارا ومجرورا» (عابدين: ١٠٥). ومما تتحقق فيه الجمل الموجزة في أمثال القصيم ألفاظ التواصل الاجتماعي التي لا يتحقق في تركيبها بنية المثل الشعبي، من ذلك منها:

الأوصاف والإتباع والجملة الموجزة الناقصة التي يعتمد فيها المتحدث على فطنة السامع وخبرته لاستكمال التركيب وتكامل المعنى، ويضاف إلى هذه الأنماط ما جاء من الأمثال متصدرا بصيغة التفضيل (أفعل).

الأوصاف :

هولةٍ من الهول	(ج٤: ١٦١١)
وجـهٍ ودِر	(ج٤: ١٥٥١)
وجهٍ مبارك	(ج٤: ١٥٥٠)
وجهٍ سفر	(ج٤: ١٥٤٧)

الإتباع :

الإتباع ظاهرة لغوية تكون في لفظين، يتبع الثاني الأول في قافيته وموسيقاه، وقد يختلف معه في الصيغة أو الدلالة. وهي ليست من الأمثال، وإنما من ألفاظ التواصل الاجتماعي. وتتنوع دلالة تركيب الإتباع ما بين الوصف واستكمال الجرس الموسيقي فقد تكون الكلمة الثانية مجرد بناء صوتي مفرغ من الدلالة، وتركيبها يكون بتجاور اللفظين دون رابطة، وهو الأكثر:

خـربط، بربط	(ج٢: ٤٦١)
شختك، بختك	(ج٢: ٦٧٠)
خـر، مـر	(ج٢: ٤٦٢)
تـش، مـش	(ج١: ٣١٢)
كاف، عاف	(ج٣: ١٠٠٢)

أو تربط بين اللفظين رابطة حرف الجر مثل:

النز من الدز	(ج٤: ١٥٠٥)

أو رابطة العاطف:

دول، وهول (ج٢: ٥٢٧)

الجملة الموجزة الناقصة:

تأتي بعض العبارات وقد حذفت بعض عناصر من تركيبها، وهو ما يطلق عليه في التعبير النحوي "الحذف اختصار أو اقتصارا". وفي سياق التواصل الاجتماعي يُترك للمستمع استكمال التركيب ذاتياً بإيحاء من السياق المقالي أو الحالي. ولهذا النقص وظيفة إبلاغية وبلاغية: إذ يتيح للسامع حرية التواصل اللغوي من جهة، ويتيح للمتحدث الاختزال ورفع الحرج من جهة أخرى. ومن أمثلة ذلك مما عده العبودي في الأمثال الشعبية وهو ليس منها:

ما به لولا (ج٣: ١١٧٦)

ومعلوم أن "لولا" حرف فهي جزء من جملة يفهمها السامع، فهي استخدمت هنا كناية عن وظيفتها، وهي التعبير عن الاستدراك والاستثناء؛ ولذلك يستعمل هذا القول عند التعبير عن الكمال في الشيء؛ إذ لا يقال فيه: لولا كذا لكان كاملا.

أسلوب لو تبي:

يأتي في الفاظ التواصل الاجتماعي أسلوب "لو تبي"، وهو في سياق إيجابي:

لو تبي عشرة (ج١: ١٤٤)

وفي سياق سلبي:

لو تبي ذنب (ج٣: ١١٤٣)

صيغة "أفعل":

تشكل الأمثال التي تتصدر بصيغة "أفعل" نمطا من المبالغات الاجتماعية، تتنوع بين الوصف مثل: **أبرق عباه، أطول وأهبل** (ج١: ٣٦، ١٠٩)، والتعليم مثل: أبعد من

مصر، **أحر من الجمر، أصبر من الحصى** (ج١: ٣٨، ٥٨، ١٠٣)، والسرد الإخباري مثل: **أذل من إبليس يوم عرفة، أرخص من تبن المذنب** (ج١: ٧٨، ٨١).

ولا تعني هذه الدلالات غياب ما تخرج إليه هذه الصياغات من معان مجازية يسوقها الموقف ويوظفها المتحدث. ويرى عابدين أن المثل على وزن "أفعل" هو صورة من صور المبالغة التي أقحمها الرواة وصناع الكلام (عابدين: ٨٩). ويعزو ذلك إلى «أن الرواة والمعلمين قد وجدوا هذا المثل تعبيرا سهلا ميسورا، فصاغوا فيه ما كان يعن لهم من علم ومعرفة» (السابق: ٩٥). ويتكئ في أدلته على أن هذا النمط من الأمثال مصطنع لكون العربية قد انفردت به دون أخواتها الساميات (السابق: ٨٩). وهو بذلك يتابع غويطاين في أن حفظها في المدونات القديمة واشتهارها بين دارسي العربية ومعلميها، ربما أتاح لبعضها في عصور متأخرة أن يظفر بألفة شعبية (السابق: ٩٧)، لذا هي عند عابدين من قبيل المثل المولد أو المحدث. والذي نراه أن استقرار الصيغة، وشيوع دورانها على الألسنة، ومستويات الاستعمال اللغوي المتعددة في تركيب المثل المتصدر بصيغة "أفعل" أعطى اللغة العربية صفة التميز وثبات هذه التراكيب في بناء الأمثال مما لا نجده في اللغات السامية الأخرى.

المثل الشعبي في الدرس الحديث:

تتحقق للمثل الشعبي قيمته الفنية بصفته نصّاً إبداعيًا، وقيمته التاريخية لاتصال استعماله في حقب متوالية، وقيمته الاجتماعية والتربوية لجانب التوجيه واختزان الخبرات، و قيمته اللغوية لثراء تراكيبه وصيغه. وتتضافر الدراسات اللغوية والاجتماعية في تقديم منظور جديد لدرس المثل لا يقتصر على الغرض من ضرب المثل أو شرح معناه أو مقارنته في بيئات مختلفة، فمثل تلك الدراسات تعنى بضرورة تسجيل الأمثال تسجيلاً صوتياً من أفواه أبناء البيئة بحيث تحافظ على تنوع المؤدي وفاق المتغيرات الاجتماعية: الجنس، العمر، التعليم، العمل، الإقامة في المنطقة...إلخ. وتهدف إلى إعادة تصنيف الأمثال بحيث تميز بين الأمثال وعبارات التواصل الاجتماعي

الأخرى. وإعادة تصنيف الحقول الدلالية وفاق معايير علمية تضع في الاعتبار البعد التاريخي والبعد الجغرافي والاجتماعي.

كما تهتم بدراسة الأمثال دراسة لغوية تطمح إلى تصنيف معجم يؤصل للمفردات اللغوية الفصيحة، وما لم تذكره المعاجم وهو متحقق في الأمثال، مع محاولة رد العامي إلى الفصيح، إلى جانب تعميق دراسة التركيب اللغوي للمثل والنظر في العلاقة بين المبنى والمعنى.

ولا تغفل درس الأعلام الواردة في الأمثال وتتبع قصتها، ودراسة الحوادث التاريخية مع تحقيق وقائعها في الوثائق التاريخية.

ويستفيد الدرس الحديث للمثل الشعبي من دراسة الجانب السيكولوجي النفسي الذي تحمله الأمثال، وذلك في مستويات موضوعية، مثل ما يتصل بالمرأة، وما يتصل بهموم لقمة العيش...إلخ. كما يستفيد من نتائج علم اللغة الاجتماعي؛ وذلك لرصد مظاهر الحياة الاجتماعية في نصوص الأمثال.

أما الدراسات التي قامت على المنهج المقارن فيوظفها في تأصيل تاريخ المثل ورحلته عبر الزمان والمكان. ولا بأس من خطة طموحة لمقارنتها بالأمثال في لغات أخرى، فالتجربة الإنسانية واحدة، ومواقف الإنسان من مشكلات الحياة واحدة، لا يميزها إلا الجانب العقدي.

المصادر والمراجع

البقلي؛ محمد قنديل:

وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، مكتبة الأنجلو - القاهرة، ١٩٦٩م.

البكري؛ أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب (ت٤٨٧هـ):

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبدالمجيد عابدين، ط١، جامعة الخرطوم - الخرطوم، ١٩٥٨م.

الترمذي؛ ابو عبدالله محمد بن علي الحكيم (ت ٢٨٥هـ):

الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر - القاهرة، ١٩٧٥م.

الجهيمان؛ عبدالكريم:

الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية، ط٢، دار أشبال العرب - الرياض، ١٣٩٩هـ.

حماسة؛ محمد:

في بناء الجملة العربية، ط١، دار القلم - الكويت، ١٩٨٢م.

الحموز؛ عبدالفتاح أحمد:

الحذف في المثل العربي، ط١، دار عمار - عمان، ١٩٨٤م.

الدميري؛ كمال الدين:

حياة الحيوان الكبرى، مطبعة الاستقامة - القاهرة، ١٣٧٤هـ.

الرومي؛ أحمد البشر، وكمال؛ صفوت:

الأمثال الكويتية المقارنة، ط١، وزارة الإعلام - الكويت، ١٩٧٨م.

زلهايم؛ رودلف:

الأمثال العربية القديمة، ترجمة: رمضان عبدالتواب، ط١، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٧١م.

الزمخشري؛ أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ):

المستقصى في أمثال العرب، عناية: محمد عبدالرحمن خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد، ١٩٦٢م.

السدوسي؛ أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ):

الأمثال، تحقيق: رمضان عبدالتواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة، ١٩٧١م.

أبوسنة؛ محمد إبراهيم:

فلسفة المثل الشعبي، دار الكاتب العربي- القاهرة، ١٩٦٨م.

الشمسان؛ أبو أوس إبراهيم:

الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ط١، مطابع الدجوي - القاهرة، ١٩٨١م.

عابدين؛ عبدالمجيد:

الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، ط١، مكتبة مصر - القاهرة، ١٩٥٦م.

عبادة؛ محمد إبراهيم:

الجملة العربية: دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف - الإسكندرية، ١٩٨٤م.

ابن عبد ربه؛ أبوعمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ):

العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة، ١٩٤٨م.

قديح؛ فوزي حمد:

الأمثال الشعبية الفلسطينية، دار علاء الدين - دمشق، ١٩٩٥م.

كمال؛ صفوت:

- انظر: الرومي.

- "صورة المرأة في الحياة اليومية من خلال الأمثال الشعبية المصرية"، مجلة هاجر: كتاب المرأة ١، ط١، سينا للنشر - القاهرة، ١٩٩٣م.

ابن ناقيا؛ أبوالقاسم عبدالله بن محمد (ت٤٨٥هـ):

الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: عدنان محمد زرزور ومحمد رضوان الداية، المطبعة العصرية - الكويت، ١٩٦٨م.

نحلة؛ محمود أحمد:

مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٨٨م.